



يروى مسيرة 30 عاماً في «الراي»

كتاب «نصف عمري هناك» لجاسم بودي..

الصحافة في عيون أهلها

قصة تجربة في المهنة التي لا تهدأ يرويها أحد صانعيها ووثيقة قيّمة تؤرخ لمرحلة ملأى بالتحديات

ليس سهلاً إختزال 30 عاماً من العمل الصحافي المكثف والنزي والمؤثر في كتاب واحد، لكن ناشر صحيفة «الراي» الزميل جاسم مزروق بودي يتصدى بجرأة وروح «الراي» الموهوبين لهذا التحدي في كتاب «نصف عمري هناك» عن الصحافة التي شكّلت علامة فارقة بكل معنى الكلمة في مسار الصحافة الكويتية العريقة، والتي تلاها لاحقاً إطلاق تلفزيون «الراي». أول تلفزيون خاص في دولة الكويت، وموقعها الإلكتروني ومركز دراساتها. على امتداد 428 صفحة، موزعة على 17 فصلاً، متحررة من التسلسل الزمني الجامد ومعتمدة على أسلوب أقرب إلى «الذاكرة المهنية». ينقل الزميل بودي بين محطات مختلفة في تجاربه الأقرب إلى المغامرة. مستحضراً لحظات الناسيس الأولى وما ارتقها من تحديات بشرية ومادية وبناء فريق قادر على تحييق الطموحات في ظل بيئة تنافسية شديدة الحساسية. للكتاب أبعاد متعددة وزوايا مختلفة، منها السياسي والمهني والإنساني والإداري. ويستعرض مراحل كثيرة أحدثها التحول إلى العصر الرقمي وما فرضه من إعادة تعريف لمفهوم السبق الصحافي في ظل التدفق الهائل للمعلومات. وينطبق الكتاب على افتتاحيات «الراي». تلك التي كما أختارها وانفرداتها لم تنف عند حدود نقل الخبر بل تجاوزته إلى صاعته مهنية ووزانة ووعي ومسؤولية. إنه كتاب عن الصحافة كما تعاش لا كما نروي فقط. وعن الكلمة حين تصنع موقفاً. وعن نقل الواقع العملي بأسلوب مهني يعرف ما يقال وما يترك. والعلاقة مع الجمهور والتأثير فيه. والصحافة في النهاية ليست مهنة تغلق أبوابها بنهاية الدوام. بل رحلة ذهنية مستمرة على مدار الساعة. بغض النظر عن ضغط الوقت واستنزاف الأعصاب وتآكل المسافة بين الحياة الخاصة والعامة والعيش في منطقة رمادية بين الرضا والقلق. «نصف عمري هناك» لجاسم بودي.. وثيقة إعلامية قيّمة تضاف إلى مكتباتنا كشاهد على مرحلة فرضت فيها الصحافة الكويتية نفسها باقتدار. الكتاب احتفال بالماضي واستمرارية للحاضر وتامل للمستقبل معاً. فيه إجابات وأيضاً أسئلة مفتوحة حول علاقة الإعلام بالسياسة والجمهور. ودور رأس المال والإدارة، والكلمة في صناعة الراي، والوضوح وسط الضجيج في المهنة التي لا تهدأ، واستشراف الواقع والقادم.

تتشكل رسائل تحمل بين طياتها أفكاراً وتجارب ناجحة ونقداً للسلبات وإضاءة على الإيجابيات.

المرأة

للمرأة الكويتية خصوصاً والمرأة بشكل عام مكانتها عند جاسم بودي فكتب عنها الكثير واعتبرها فعلاً لا قولاً نصف المجتمع وأخت الرجال. وفي إحدى مناسبات يوم المرأة العالمي عن بومرزوق زميلة كويتية رئيسة للتحليل مكانه لمدة يوم، وتلقى هو وغيره التعليمات منها لتفقه بقدرتها على الإدارة وسير العمل، ومن الافتتاحيات التي تطرق فيها إلى دور المرأة «لن يهزأ من الظالمين»، و«حقوق المرأة وأختائها»، و«من يحدد الضوابط»، و«صوت المرأة والعودة السياسية الأحراب أولاً»، و«عيد الحب بطاقة ووردة»، و«كويتية في غوانتانامو»، و«حدثتني سارة عن السعوديات».

ويغرد الكتاب في الفصل الخامس عشر موضوع الإرهاب الذي كان لجاسم بودي فيه اهتمام خاص، وركز على أن تبدأ مكافحة التطرف والإرهاب من أهل البيت لأنهم أدرى بما فيه وهي مسؤولية العرب والمسلمين قبل غيرهم، وأن إيصال هذه المسؤولية للغرب سواء بمدحه أو بانتقاده من سبياً في إطالة وصمة الإرهاب وتمديداً لماخ التطرف، كما أضاء على العلم في الصغر وتخوف من المناهج وسيادة نهج سياسي خارج ثوابت الاعتدال الكويتية، وحراراً وتكراراً من أن تشهد الكويت بعض ممارسات التطرف والإرهاب نتيجة إصرار ثيارات معينة من مختلف الاتجاهات على التماهي مع الحالات الشاذة لبعض الإسلاميين، ومن تلك المقالات «رسالة إلى أسامة بن لادن»، و«رسالة إلى فخامة الرئيس جورج بوش»، و«للمهم احم الكويت»، و«حرب الصحابة»، و«حين يكشف». نداعة، و«لم يمت في الكويت»، و«ولدي محمد وأبناء جيله»، و«كيف تواجه النار ومطلقها؟»، وغيرها.

الإصلاح والافتقار

ولأن موضوع العراق كان ومازال من أكثر الفصول حساسية في الكويت كموضوع نقلته الجغرافيا إلى التاريخ وحظفته السياسة من التاريخ.. خصوصاً إذا كان من يقرر السياسة حاكم مثل صدام حسين. جاء الفصل الـ 16 ليبرز قراءة جاسم بودي لكيفية التعامل مع بلد في الجوار فرضته الجغرافيا، فهو وإن كان ضد الدكتاتورية وسلوكيات التسلط والقمع لكنه سحب النقاش إلى الجغرافيا من سلطة البيعت وأعاد النقاش إلى فطرته الأولى، فيرى أن هناك مستقبلاً لا بد أن يبني لا على نسيان الغزو بل على الاستفادة من هذه الجريمة لتأسيس علاقات مختلفة مع الشعب العراقي تضمن عدم استخدامه لاحقاً رصاصاً في بندقيته حاكم متهور. فكتب «كيف نتألم مطمئناً وجارك جائع»، و«نحن والعراق.. وجهاً لوجه»، و«الثاني من أغسطس.. دروس وعبر»، و«متأمر أم مغامر؟»، والكثير من المقالات المعبرة أهمية أن تكون العلاقات بين البلدين قائمة على أسس صحيحة.

الفصل الأميركي

وختم الكتاب أخيراً، كان في الفصل الأميركي، حيث يبين أن جاسم بودي كان الأكثر مناقفة للأميركيين وسياسة العم سام في المنطقة، وكيف كان يقول للأميركيين أنهم يقربون من أطروحات محور شر كما يصف بن لادن العالم إلى قسطنطين الكفر وفسطاط الإيمان.. وموضوع تجديد تاشيرة الدخول إلى أميركا وتفضيل السفر بدل ذلك إلى ليبيا، وزيارة مسؤولي السفارة الأميركية لمبنى «الراي» حاملي الجواز والتأشيرة. ومن المقالات التي كتبها بو مزروق عن أميركا «لغة دولة عظمى؟»، و«أميركا والسعودية.. نريد فعلاً أن نصق»، و«عزيزي مستر بوش»، و«الأصدقاء الأميركيون.. نريد أن نفهم»، و«الفيلم الأميركي المثري: تسويق القاعدة»، و«أميركا في مساجد الكويت.. ومسرح الحسين»، و«هيلاري الوزيرة... وجاء خاص»، ومقالات متعددة تحمل من العمق الشيء الكثير وتحتوي تحليلات وآراء جريئة وذات مصداقية تدب اللقائري والمتابع كيف تسير الأمور والعلاقات الأميركية بالمنطقة. وتبقى سياسة الصحفية الراسخة «الراي» لصاحبه والخبر للقارئ، وبين صفحات الكتاب وسطوره، مسجد القارئ نفسه تلقائياً في شرفة تطل على مناطق الجغرافيا السياسية في الكويت بكل سلباتها وإيجابياتها، وسيجرح من سيرة «الراي» كصحيفة كويتية إلى مسيرة الكويت في الأعوام الثلاثين الماضية، ثم سيكتشف أن السيرة والمسيرة فضول واحدة والحذان والمحبة والوفاء ما كانت «الراي».

بومرزوق العاطفي، فتهنئ مشاعره رؤية شباب يتسول تحت البرد والمفروض أن يكون في مدرسته، وأهمية أن يتمتع الإنسان بحقوقه في الطيبة والتعليم والعمل والزواج، وكان يعتبر أن الصحافة تغطي الخبر عبر مراسلها في فلسطين المحتلة بينما يترك لنفسه زاوية إنسانية يدخل منها إعلاء صورتها على الجانبين السياسي والعسكري ككتابتة عن شهداء غزة والطفلة هيا حمدان، وكذلك ذوي الهمم، و«البنات والجامعة»، ونبذ التمييز والطائفية والكرهية والعنصرية بكل أشكالها، وأهمية الاعتدال والابتعاد عن التطرف.

الوحدة الوطنية

من 5 مقالات في مسيرة جاسم بودي الإعلامية التي امتدت إلى 30 عاماً في الكتابة ومازالت مستمرة، لابد من التوقف في محطة الوحدة الوطنية، حيث استشعر خطر اللعب بالنسيج الاجتماعي الكويتي، معتبراً أنه معبر للتدخلات الخارجية، فالوحدة حصن الكويت وسورها ومن دونها لا بقاء للكويت، فكان يضع إصبعه على الجرح مباشرة. عن السبب الذي أدى إلى الانقسامات، وكان يرى أن العلة التي تكبر إنما تبدأ من المدرسة والتعليم والمناهج، فمن يتشرب التطرف والانقسام في الصغر فلن يكون وحدياً في الكبر. ومن مقالاته في هذا الشأن: «مع حمد قنقلة»، و«لن أوقع على وثيقة نصد الكراهية»، و«طريق الطائفية في الكويت»، و«الجماعة... المفرقة»، و«أنا سني... أنا شيعي»، و«استعيدوا الاعتدال الكويتي من أيدي خاطفيها»، والتي كان يركز فيها على أهمية الوحدة الوطنية وتجسيدها افتقاراً لا أقوالاً فقط.

الإصلاح والافتقار

وفي افتتاحيات جاسم بودي يتجلى التركيز على قضايا وموضوعات «الإصلاح» بشكل واضح، إذ لم يترك شاردة أو واردة في قطاعات الدولة إلا وتحدث عنها، من إصلاح البريد إلى إصلاح القرار مروراً بخيارات الناخب ووظيفة النائب ومقومات الوزير، حيث تم وضع بعض الافتتاحيات المنقاة في رؤيته للإصلاح والتي لم يخل بعضها من عنصر الجرأة أو المفاجأة.

الاقتصاد

ويأتي فصل «الاقتصاد» بعد ذلك، والذي اهتم به جاسم بودي كثيراً فهو ابن بيته أساساً، فكتب الكثير عن الإصلاح الاقتصادي وطرح منذ بداية صدور الجريدة أفكاراً غير تقليدية ضد سياسة الاستهلاك عند المواطن واللا سياسة اقتصادية عند الحكومات وغباب التخطيط والرؤية. منها: الحزم قبل «الحزمة».. ونشد الأحزمة، ورسوم برسم المستقبل، وكى جنني حصاد الحريز، والضرائب نعم.. والشراكة السياسية؟، وحرروا الاقتصاد.. الرهينة، والاقتصاد والبورصة.. من يجرؤ على القرار؟، والشحم لا.. النقط!، ولماذا وصلنا إلى هنا؟ وغير تلك من المقالات الافتتاحية التي كانت



على ترخيص خارجي لإنشاء محطة تلفزيونية وحصول يوسف الجلامه على الترخيص من المدينة الإعلامية في دبي خلال ساعة وتسليمه للشيخ صباح الأحمد، رحمه الله، الذي قال لجاسم بودي إن «الديرة أولى وأنت ما تطلع بالتلفزيون من دولة ثانية»، وكانت انطلاقاً للتلفزيون رغم التحديات ونسرة الكوادر الكويتية ووجود الاشتراطات واللوائح.

الشباب

لقد اهتم جاسم بودي بالشباب الكويتي بشكل كبير، وفق ما جاء في الفصل الثامن من الكتاب، باعتبار أنهم كل المستقبل وقادة مؤسسات الكويت لاحقاً، كان معهم دائماً قبل التخرج داخلها وخارجها وبعد التخرج وعند بداية دخولهم سوق العمل، كما كان يحض - في لقاءاته مع القيادة السياسية وفي مقالاته - على فتح القلب للشباب وينادي ببقاء سريرتهم وسلامة دوافعهم، وصدق حدسه على المدى الطويل وأصبح كثير منهم رؤساء شركات استثمارية وأسسوا أعمالاً خاصة ونجحوا داخل الكويت وخارجها، مرسخاً بذلك العديد من المقالات الداعمة للشباب والمحفزة لهم على العطاء والاجتهاد لتطوير الحاضر والعبور إلى المستقبل.

الإنسان

وللجانب الإنساني مكانة خاصة في تكوين

ولشقيقه مروان وأخته عائشة، و«الافتتاحية التي لم تنشر» في وفاة والدته، رحما الله.

الكلاب.. الراحلون

أما الفصل الرابع فيتحدث عن الوفاء كجواز عبور لغسيل القلوب مع الجميع، كما يتناول العلاقة مع أصحاب السمو الأمراء الراحلين «جابر الأحمد، سعد العبدالله، صباح الأحمد، نواف الأحمد، ورناء» لهم واستذكار مواقفهم الوطنية والإنسانية.

الوفاء

وجاسم بودي لا يقطع خيط المودة مع أحد، ويحرص على تسليط الضوء على جزء من مآثر بعض رجالات الكويت وشخصياتها، ففي «الوفاء» يتطرق إلى شخصيات كان لها أثرها منهم: مصطفى بودي وجاسم الخرافي ومحمد الرشيد وعبداللطيف الغانم ويوسف الفلاح، وعبدالعزیز الصقر ويوسف الغانم وأحمد الربيعي وأحمد الخطيب وصالح العجيري وناصر السايير وعبدالرحمن السميوط وجاسم القطامي وحنان محمد الصقر وجاسم البحر.

حفل بركان

وفي الفصل السادس يتحدث بومرزوق عن موضوع حفل بركان واتصال مسؤولين في الخارجية الكويتية وفي السفارة الأميركية قائلين إن هناك وفداً من الكونغرس الأميركي يريد اللقاء به على عجل لحديث خاص يناقش الأوضاع في غرقة مغلقة، وكان الاجتماع مسجلاً، وقالوا إنه لأشرف الكونغرس فقط ويتم حفظه في إحدى مكتبات قنوات سي سبان التي تغطي التطورات التشريعية الأميركية ساعة بساعة، والحديث عن أن الخطر الأكبر هو الاعتماد على مصدر واحد للدخل، وأن من يتحكم بالاقتصاد حالياً هو الاعتماد على النفط وأنه إن نضب النفط فستتغير الأمور كلها، واستغلال البعض وتوقفهم عند مصطلح أن حفل بركان «بحكم». مستحضراً مبادئ خاستين مع سمو الأمير الراحل الشيخ صباح الأحمد وسفير المملكة العربية السعودية السابق د.عبدالعزیز الفاي، حيث كان سموه من أكثر المعترضين على تحكم مصدر واحد للدخل في كل حياة الكويت، وكيف أن بعض المصطلحات فسرت خطأ وانتهاء اللقاء باعتقاري من سموه، (قربت على كحفي وقال: «أنا لا أزعل عليك»).

التلفزيون

ولأنه كان يتطلع إلى إحداث ثورة حقيقية في الإعلام المرئي في الكويت بعد النجاح الكبير الذي حققته صحيفة «الراي» على مدى نحو 10 سنوات منذ انطلاقتها بروحية جديدة مختلفة كلياً، أراد جاسم بودي أن يكون مالك أول تلفزيون خاص في الكويت عبر الأطر القانونية، وبعد إعلان الفكرة في اجتماع خاص مع رئيس الوزراء آنذاك الشيخ صباح الأحمد، كان تشجيع سموه، رحمه الله، لكنه طلب منه معرفة مدى موافقة الفكرة مع القانون، ثم فكرة الحصول

ونمسك بصحيفة هي نتاج جهد مشترك لأسابيع وأبلغت زملائي بصفتي رئيساً للتحليل آنذاك أن ما بعد ذلك اليوم ليس كما قبله، ففي كل يوم ولادة جديدة والتنافس يجب أن يتركز على ذواتنا بمعنى أن نقدم باستمرار منتجاً أفضل مما سبقه، كما ذكرت عبارة من 3 كلمات طلبت من زملاء حفظها جيداً. أصبت وأخطأت، تعلمت وعلمت، كانت الطريق مفروشة بالشوك أكثر من الورد. وفي كل مقالتي وتوجيهاتي إلى الزملاء أكرر وجوب استخدام العقل أكثر من العاطفة في التحليل ومقاربة الأمور.

الشفاف والتحضير

في الفصل الأول يتناول بودي بداية مشروعه الجديد، أي تأسيس صحيفة يومية، وإقناع مجموعة من الإعلاميين العرب بأنه شغف شخصي ومشروع ربحي عبر صناعة إعلامية، وهكذا كانت البداية من مكتب في عمارة تجارية في مدينة الكويت وتجميع فريق العمل هناك.

كما يتطرق بودي إلى منع الصدور والحديث عن مالك الراي العام السابق عبدالعزیز المسعيد وشراء امتياز الصحيفة وفق صيغة تم الاتفاق عليها مع «العديد» المساعدين ليصدر العدد الأول من صحيفة «الراي» العام، بلحتها الجديدة في 14 مايو 1996، حاملاً 3 رسائل الأولى داخلية عبر توجيه رئيس التحرير آنذاك جاسم بودي في افتتاحيته الأولى، والثانية حول السياسة الخارجية، والثالثة عن هوية المولود الجديد، ومفاجأة العدد الأول كانت مقابلة طويلة مع الزعيم السوداني الراحل حسن الترابي المعروف بمواقفه غير الصديقة للكويت وتصريحاته المثيرة للجدل سياسياً وعقائدياً، وذلك كي لا يكون كادام رئيس التحرير نظرياً.

الانطلاق

وفي الفصل الثاني «الانطلاق» يتناول بودي فترة رئاسته للتحليل والتي تسلمها لأكثر من 10 سنوات وحرص على الدفع بغريق العمل نحو الابتكار خارج المالوف، فهو يتعامل مع الصحافة كعاشق حقيقي مشرفاً على أدق التفاصيل، إضافة إلى أسرار العناوين عند «بومرزوق» حتى أصبحت عناوين «الراي» قصة تروي، وفكرة الإعلان عن جوائز للمشتركين وقصة السحوبات والجوائز وتكوين أكبر قاعدة للاشتراكات بالجريدة. ولا ننسى «زوايا بو مزروق»، وأهمها «قرنرة» وما تحمله من نقد بطريقة خاصة ورمزية و«يوميات فرج» للقصص الطريفة، وكذلك الملاحق كالملاحق الانتخابي، وتكبير الصور ورسم الشخصيات السياسية والاجتماعية والفنية، واعتماد ألوان الصفحات لكل قسم، وإبراز لغة الكاريكاتير، والشعر الشعبي، وغيرها من إبداعات «الراي» التي وصلت للقراء على اختلاف توجهاتهم وأعمارهم.

الانكسار

ويتضمن الكتاب في فصله الثالث «الانكسار»، عشق بومرزوق لأسرته، فابنته الثالثة «معرزبته»، وتولي والدته السيدة شيخة الغانم تربيته بعد وفاة والده وهو في الثامنة من عمره وبخوله سوق العمل يابعا مع إغراقه بمقومات الحضان والمحبة كي تتوازن شخصيته، وفخره بتربية والدته له

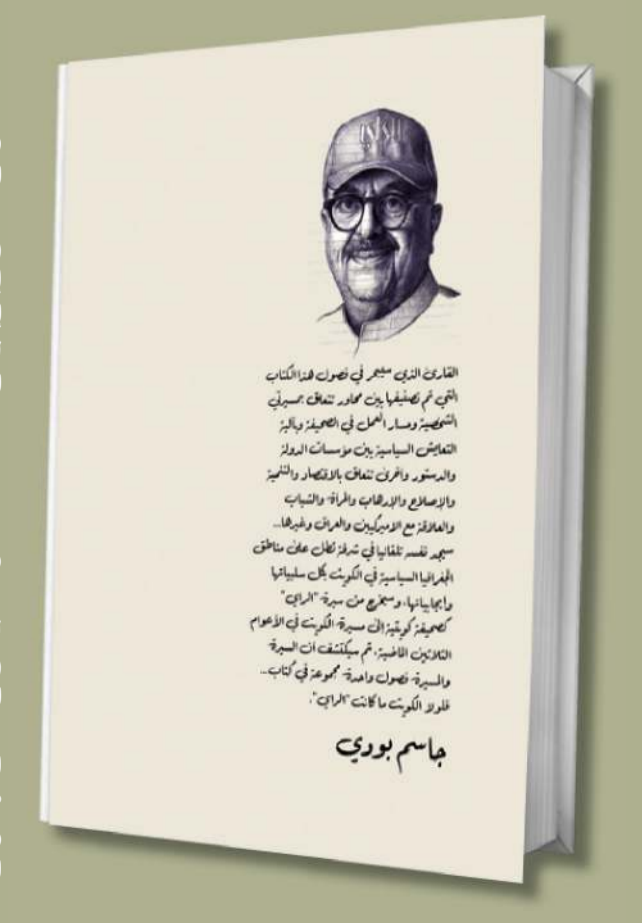
«الراي».. وطني المصغر

يقول جاسم بودي: في آخر مناسبات اجتماعية التفت فيها جزءاً من فريق العمل كسفت لهم بعض أسرار عشقتي لـ «الراي» ولم أتح بالأسرار كلها. تركت أشياء كثيرة لنفسى يختلط فيها البعد الشخصي بالمهني بالعاطفي. قلت لهم إن «الراي» انتقلت من كونها اسرني التي كونها وطني المصغر. تحدثت عن البدايات وعن الجيل القديم، وعن الحاضر وجيل التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، وكلاهما موجود في سلسلة واحدة. نظرت إلى ابني الشاب مزروق الذي كان واقفاً مع الفريق وقتل إن «الراي» صدرت وهو في السادسة من عمره. ثم نظرت إلى حفيدي جاسم الذي يقف بجانبه وقتل إنه لم يكن قد ولد عندما صدرت «الراي» وماضى اليوم. جيل بعد جيل. يشهدنا على التطور الشباني لـ «الراي» ومواكبة المراحل. ويعيدان تذكير الحاضرين بالعبارة التي طلبت منهم عند صدور العدد الأول قبل 30 سنة حفظها جيداً: الراي وجدت لتبقى.

الوفاء.. مبنى يوسف الجلامه

الكمال لله. جاسم بودي يعمل ويحظى وينجز وينجح. يفضب أحياناً ويتبسّم دائماً. ويشجع أجواء من التفاؤل في دورة العمل. إنما أيضاً إذا نالت العصبية منه وترا تحول الموقف إلى بركان. الثبات على الصفات صعب مع تغير الظروف والأمزجة. لكن الوفاء سمة ثابتة بعقده عنده. يخلص لمن أخلص معه ويسبقه حتى بخطوات في هذا المجال. الأمثلة كثيرة على وفائه لكثيرين صارهم، وهي مذكورة في فصل الوفاء. لكن مثلاً جابا يعيشه العاملون في «الراي» يومياً حين يدخلون مبنى الصحيفة والتلفزيون في منطقة العارضية. ولذلك قصة.

عندما انتقل مبنى «الراي» من الشويخ إلى منطقة العارضية بعد نحو 25 سنة من الصدور. كان من الصليبي أن يطلق عليه إما اسم جاسم بودي نسبة إلى مالك المؤسسة وإما مبنى صحيفة وتلفزيون «الراي» مثلاً كونه يرمز إلى المؤسسة. إلا أن بومرزوق طلب من المهندس المسؤول أعداد لوحة معدنية نحاسية كبيرة مكتوب فيها «مبنى يوسف الجلامه» نسبة إلى بواحد الجلامه المصير العام السابق ورئيس التحرير السابق للصحيفة ومدير التلفزيون السابق.



جاسم بودي